سألت هيلاري: ما الذي سنتحدث عنه اليوم؟ وما الذي يجول بخاطرك أنت يا هيلاري؟

أنا شخص يحب النظام في حياته، أبدو كما لو كنت أسرد لك قصة حياتي بنوع من التسلسل التاريخي، ما يجعلني أقدر أنني سأستمر على النحو ذاته. هل أنت موافقة على ذلك؟

يقينًا.

عندما حان موعد اختيار الكلية، كنت أعرف أنني راغبة في الذهاب إلى مدرسة إناث بما يقيني من الانشغال بالرجال؛ لم أكن أريد إضاعة سنواتي الدراسية الثمينة وأنا غارقة في التفكير بما إذا كان الزميل الجالس في الصف المقابل يراني جميلة، كذلك كنت أظن أنني سأحب الذهاب إلى إحدى مدارس الشقيقات السبع؛ لأنها كانت أفضل الأمكنة بالنسبة إلى أي امرأة تريد الحصول على تعليم رائع؛ فوقع اختياري على ويزلي.

وما الذي جعلك تختارين ويزلي؟

بدت سعيدة بسؤالي، وقالت: نعم! ثمة عدد من الأمور؛ مدرِّسة ثانوية كنتُ معجبة بها كانت قد تخرجت فيها ومدحتها كثيرًا، أفادت بأن من شأني أن أحصل على دورات أكثر إثارة في ويزلي، وبأن البنات كن أذكى من نظيراتهن في مدارس الأخوات الأخرى، كذلك كنت قد رأيت صورًا للكلية ودُهشت بمناظرها الجميلة، بمساحاتها الخضراء الفسيحة، بمسارات خيلها المحصورة بين صفين من الأشجار، وببحيرة وابان الجميلة التابعة لها، ذكرتني بكوخ بناه جدي على ضفة وينولا في جبال بوكونو على مسافة عشرين ميلًا إلى شمال غربي سكرانتون، حيث قضيت العديد من فصول الصيف الملأى بالفرح. ومما ساعد أن الكلية بدت صورة طبق الأصل لما كنت قد تصورت الالتحاق بها في أحلام اليقظة.

إلا أنني لم أكن – للأسف – قد تصورت قط النوعية المتوقعة للطالبات الأخريات. سرعان ما اكتشفت أنني كنت قد اخترت مدرسة ملأى بنساء صغيرات السن فاتنات متحذلقات مغرمات بالتبرُّج المبالغ فيه حتى في الصفوف الدراسية، بارتداء أرواب السهرة في حفلات رقص نهاية الأسبوع. كنت قد وصلت ومعي حقيبة ملأى ببلوزات (بيتربان) وتنانير مجعدة التقطتها لي أمي، مع عدد من الجوارب الواصلة إلى الركبة والأحذية الزحافة.

لبعض الوقت، كنت أشعر بالحرج لدى الظهور أمام الطالبات الأخريات، وأطرق كلما مررت بإحداهن، غير أنهن كن يتغيرن أحيانًا، وما لبثت أن اكتشفت قدرتي على منافستهن على الصعيد الثقافي والفكري. توقفت عن الاهتمام بملبسي وعكفت على العمل والاجتهاد. صديق صار لاحقًا وزير عمل بل يدعى روبرت رايش، وصفني لصديق مشترك مرتدية سروال جينز قصير السرج، بشعر مكوي طويل، بلا أي تبرُّج، كنا معًا من دعاة الإصلاح؛ كنا نشارك في مسيرات الحقوق المدنية ونطالب بقبول المزيد من الطلاب الزنوج في الكلية، كانت أحلام كبيرة تراودنا حول إذابة الأمة في بوتقة واحدة، غير أننا لم نكن ندرك مدى سذاجتنا.

لحظات من الصمت عمَّت المكان.

كنت في السنة الأولى بويزلي حين أُصبت بالاكتئاب للمرة الأولى.

استنفرت أذنيَّ. اكتئاب! ما الذي يجعلك تظنين أنك كنت مكتئبة يا هيلاري؟

لا أعرف.

هل السبب هو افتقادك لأسرتك، ربما؟

لم أفكر بذلك قط، إلا أنني أفترض أن من شأن ذلك أن يكون صحيحًا؛ لم يكن قد سبق لي أن ابتعدت عن البيت وحدي، ولو في أي نهاية أسبوع. اتصلت بأمي وأخبرتها بعجزي عن مواكبة ويزلي وبرغبتي في العودة إلى البيت، قالت بنبرة بالغة اليقين إنها لم تكن تريدني أن أترك الجامعة، فبقيت. صرت أفضل حالًا لبعض الوقت وأقمت عددًا من الصداقات، إلا أن سنتي الثانية صفعتني من جديد. مع أنني حصلت على تقدير (آ) في المواد جميعها، كنت أواعد رجلًا من هارفارد ذا شعبية، وكنت على علاقة حميمة مع فتاة زنجية في السابعة من العمر كنت أعلِّمها، فقد كنت أبالغ في إطالة النوم، أغفو في الصفوف الدراسية، وكنت مقتنعة بأن أفراد الهيئة التدريسية كانوا قليلي الاهتمام بي.

ما الذي فعلته للحصول على مساعدة من أجل التغلب على الاكتئاب؟

راسلت دون جونز الذي بقي مستشاري، مرشدي الروحي، وموضع ثقتي. أقنعني بأن حياتي ستكون زاخرة بالنعم، ولا بد لي من أن أثابر وأواصل التقدم. كان على صواب؛ فبعد مدة تحسنت أحوالي.

كان رجلًا حكيمًا يا هيلاري. تحسنين صنعًا إذ تتذكرين أن حالات الاكتئاب، بما فيها حتى أسوأها، تتحسن مع مرور الزمن.